

جوليان ستيوارد ومعاينة الايكولوجيا-بحث في الانثروبولوجيا الثقافية

الأستاذ المساعد الدكتور ياس خضر عباس العباسي

الجامعة المستنصرية/كلية الآداب/قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

البريد الإلكتروني: [yassoo2oo7@yahoo.com](mailto:yassoo2oo7@yahoo.com)

كلمات مفاتيح: ستيوارد، الايكولوجيا الثقافية، البيئة، لب الثقافة، منطقة الثقافة

٢٠١٥-١٤٣٦ هـ

**Julian Steward and the view of ecology-research in cultural anthropology**

**Assistant Professor Dr. Yass Al-Abhasi**

**The University of Mustansiriah/college of arts/applied anthropology  
department**

**Email [yassoo2oo7@yahoo.com](mailto:yassoo2oo7@yahoo.com)**

**Keywords: Steward, cultural ecology, environment, culture core and culture  
area**

**2015**

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

جوليان ستيوارد

ومعاينة الايكولوجيا

بحث في الانثروبولوجيا الثقافية

الأستاذ المساعد الدكتور ياس خضر عباس العباسي

٢٠١٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ

فاطر/ ۲۸

## جوليان ستيوارد ومعابنة الايكولوجيا-بحث في الانثروبولوجيا الثقافية

الأستاذ المساعد الدكتور ياس خضر عباس العباسي

### ملخص العربية:

بزغ الأستاذ (J. Steward) كأحد تلاميذ المدرسة الأنثروبولوجية الامريكية المعنية بدراسة الثقافة والسلوك الإنساني وتفسيره في منتصف الاربعينيات من القرن الماضي بعد سلسلة من الدراسات في علم الاثار والانثروبولوجيا، وقد خصص العقد الخامس والسادس نحو الدراسات الأنثروبولوجية من خلال توجه الايكولوجيا الثقافية الذي يعنى بتكيف البشر الى البيئة، يحاول البحث ان يُعرف بالسيرة الأكاديمية للأستاذ (Steward) ومسيرته العلمية وانجازاته المعرفية، بوصفها هدفاً للبحث، في حين تتجه الأهمية نحو مناقشة وبيان اهم الأفكار والتصورات التي عرضها في دراساته وقدرتها في تحليل السلوك الإنساني بوصفه شغل الانثروبولوجيا الثقافية الأساس، وفي مناقشة توجهات المدرسة التطورية الكلاسيكية ومفهوم التطور الخطي الذي رسمه رواد هذه المدرسة، فضلا عن مناقشة التوجهات النظرية التي قدمها اتباع الحتمية الجغرافية او البيئية في تحديد وصياغة السلوك الإنساني الخاضع للمحددات البيئية، ومدى مساهمة الايكولوجيا الثقافية توسيع دائرة البحث بدل من تحديده في تصورات محددة.

### Julian Steward and the view of ecology-research in cultural anthropology

Assist Professor Dr. Yass Al-Abhasi

J. Steward rose as one of the disciples of the American Anthropological school on the study of culture and human behavior and its interpretation in the mid-forties of the last century after a series of studies in archeology and anthropology, has been allocated the fifth and sixth decade toward anthropological studies through orientation cultural ecology, which means the adaptation of humans to the environment, try the research to look to know the biography of academic and scientific career and achievements of knowledge of Professor (Steward), as the goal, while moving the importance about the discussion and the statement of the most important ideas and concepts presented in the studies and their ability to analyze human behavior as filled cultural anthropology basis, and in his discussion to the evolutionary school classic concept of linear evolution stages by the pioneers of this school, as well as his discussion to the theoretical orientations given by the follow geographical or environmental determine in identifying and formulating taxable environmental determinants of human behavior, and the extent of the contribution of the cultural ecology widening the search rather than specified in the specific scenarios.

## المقدمة:

خضع موضوع التطور الى جدل أكاديمي واسع من التطورين والمناظرين لهم، امتد الى أكثر من نصف قرن، تبلور على أثره (الجدل الأكاديمي) صياغة عدد من التوجهات النظرية الأساسية لعلم الانسان، منها توجه الايكولوجيا الثقافية، وبعد الاستاذ (J. Steward) شخصه الرئيس ومشيد أفكاره وصانغ مفهوماته، مثل سلسلة التطور اللا-خطي ولب الثقافة والانتظام الثقافي والعصبة الابوية... وكان غرضه الأساس رد بعض التوجهات النظرية التي سبقته او تصحيح صياغتها (وفقا لتصوراته) موضحاً ماهية هذا التوجه بالقول: تماثل الإيكولوجيا الثقافية إلى حد كبير الايكولوجيا البيولوجية في منهجيتها عند دراسة التفاعلات بين جميع الظواهر الاجتماعية والطبيعية داخل منطقة محددة، ولكن ذلك لا يعني ان تتساوى عندها الميزات الاجتماعية مع الفصائل البيولوجية أو تفترض أن المنافسة هي العملية الرئيسية. أنها تميز بين أنواع مختلفة من الانساق والنظم الاجتماعية-الثقافية، وتتعترف بالتعاون والمنافسة بوصفهما عمليات التفاعل، وادعائها باعتماد التكيفات البيئية على التكنولوجيا، والحاجات وبناء المجتمع على طبيعة البيئة. انها تتضمن تحليل التكيف الى البيئة الاجتماعية.

يحاول البحث ان يُعرف بالسيرة الأكاديمية للأستاذ (Steward) ومسيرته العلمية وانجازاته المعرفية، بوصفها هدفاً للبحث، في حين نتج الأهمية نحو مناقشة وبيان اهم الأفكار والتصورات التي عرضها في دراساته وقدرتها في تحليل السلوك الإنساني بوصفه شغل الانثروبولوجيا الثقافية الأساس، وفي مناقشة توجهات المدرسة التطورية الكلاسيكية ومفهوم التطور الخطي الذي رسمه رواد هذه المدرسة، فضلا عن توجهات التوجهات النظرية التي قدمها اتباع الحتمية الجغرافية او البيئية في تحديد وصياغة السلوك الإنساني الخاضع للمحددات البيئية، ومدى مساهمة الايكولوجيا الثقافية توسيع دائرة البحث بدل من تحديده في تصورات محددة.

أولاً:

### جوليان ستوارد والارث الأكاديمي\*

ولد (J. Steward) في واشنطن العاصمة عام ١٩٠٢، الطفل الثاني لرئيس مجلس المفتشين في مكتب براءات الاختراع في الولايات المتحدة الأمريكية. التحق بدورة تمهيدية في الأنثروبولوجيا بوصفه طالباً في جامعة كاليفورنيا عام ١٩٢١، تحت قيادة كل من (A. Kneber, R. Lowie, and E. W. Gifford). وانتقل في السنة التالية إلى جامعة كورنيل، حيث حصل على البكالوريوس، وقد التزم بنصيحة أستاذه (L. Farrand) رئيس جامعة كورنيل بالعودة إلى كاليفورنيا الذي طالما حثه على دراسة الأنثروبولوجيا. واكتسب في بيركلي مع زملائه الطلبة بما في ذلك (W. D. Strong, L. Warner, and R. Beals) اهتماماً وتوجهاً للدور البيئية الفيزيائية في الثقافة من أستاذ الجغرافيا (C. Sauer).

أمضى (Steward) فصول الصيف في الدراسات الإثنوغرافية والأثرية على طول نهر كولومبيا في وادي أوينز. إذ اكتشفت أثناء إقامته الميدالية ممارسة هنود شرق مونتانا بانتظام ري النباتات البرية للنبور والدرنات، على الرغم من أن ممارستهم كانت من دون غرز أو حرث\*\*.

---

\* تم اعتماد المصدرين الآتيين بكتابة السيرة:

1-Jerry D. Moore, Visions of Culture: An Introduction to Anthropological Theories and Theorists, Third Edition, AltaMira Press, United Kingdom, 2009, p194-p199.

2-Robert A. Manners, Julian Haynes Steward: A Biographical Memoir, National Academies Press, Washington, 1996, p325-p336.

\*\* هنود الـ (Monache) وهو مصطلح عام ينطبق على القبائل الشوشونية Shoshonean لجنوب شرق ولاية كاليفورنيا.

أكمل عام ١٩٢٩ وصف وتحليل ميزة النقوش الصخرية في ولاية كاليفورنيا ونيفادا، ويوتا، وولاية أريزونا، و كاليفورنيا السفلى. اذ كشفت تحليلاته مؤشرات التسلسلات الزمنية والوظيفية للنقوش، ولكن أثبطه العمل الشاق من زيادة الاهتمام بمنهج سمة الثقافة (Culture trait approach). وقد انهى بنفس العام الدكتوراه عن أطروحته الموسومة بـ(مهرج المناسبات للهنود الأمريكيين) التي نشرت عام ١٩٣١\*.

أمضى سنوات في المنخفض الكبير لحساب جامعات ميشيغان، ولاية يوتا، و كاليفورنيا. وكان يعمل أساسا على اثار الحوض العظيم\*\* (Great Basin) خصوصا مواقع الكهوف في المدرجات القديمة وتحديد منطقة بحيرة الملح العظمى.

تزوج (J. Cannon) في عام (١٩٣٤)، وبدأ سويا بعد عامين من الزواج بأبحاث اثنوغرافية لثقافات الشوشون (Shoshonean cultures). الذي نتج عنه دراسة ضخمة، لحوض هضبة الجماعات الاجتماعية والسياسية الأصلية عام (١٩٣٨)، اذ تميزت بمخزون كبير من التفاصيل الثقافية للسكان المحليين فضلا عن عدد من الاثباتات الشخصية التي قيدها مع وزوجته.

نال منصب أستاذ الأنثروبولوجيا المشارك في مكتب الاثنولوجيا الأمريكية عام ١٩٣٥، وكان لديه فرصة لتوسيع مجال عمله. اذ عمل في مجال الأنثروبولوجيا

---

\* عنوان الاطروحة

## The Ceremonial Buffoon of the American Indian

\*\* الحوض العظيم: منطقة كبيرة قاحلة في غرب الولايات المتحدة الأمريكية، تقع بشكل تقريبي بين جبال واساتش في يوتا وسييرا نيفادا، وليس لها أي اتصال مع البحر، ولذلك فهي حوض مغلق ومنطقة ذات بزل داخلي تمتد على عدة ولايات أمريكية، ومحاطة بالمستجمع المائي للمحيط الهادئ في أمريكا الشمالية، أي المستجمع المائي لكولومبيا شمالاً والمستجمع المائي لكولورادو شرقاً وجنوباً.

التطبيقية تحت اشراف الاستاذ (J. Collier) بوصفه مفوض الشؤون الهندية، واشتغاله الميداني في مرتفعات الإكوادور وبيرو وبين الهنود المتقلين لكولومبيا البريطانية. وعقد مقارنة للايكولوجيا والكثافة السكانية وحجم العصبه وقواعد الزواج عند مجتمعات الصيد وجمع الثمار كأساس لنظرية التنظيم الاجتماعي الأولي في مقاله الموسومة بـ(الأساس الاقتصادي والاجتماعي للعصب البدائية) عام ١٩٣٦.

أوجز المرحلة الأولى من عمله في التوجه نحو ثقافات السكان الأصليين في منطقة الحوض العظيم عام ١٩٤٠، وبدأ بمسح شامل لثقافات هنود أمريكا الجنوبية. وكان بهذا المنتج قد قام بتشكيل الجمعية الأمريكية للأنثروبولوجيا، والجغرافيا، مع مجلة، (Acta Americana).

عد وأصبح أول مدير لمعهد الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذي تم انشاءه داخل مؤسسة (Smithsonian) للتدريس في المكسيك وبيرو والبرازيل وكولومبيا، وإجراء البحوث الميدانية عن الجوانب العملية لثقافات أمريكا اللاتينية المعاصرة.

انهى في عام ١٩٤٦، كتيب هنود أمريكا الجنوبية وكان قد اناط تسليم المعهد إلى مدير جديد، ثم نال الأستاذية في جامعة كولومبيا في عام ١٩٤٧ وبدأ مع عدد من المتعاونين في مشروع بورتوريكو، وكتابة التقرير النهائي الذي ظهر في عام ١٩٥٦. وكان من فروع هذه الدراسة كتابه الموسوم بـ(مجال البحث: النظرية والتطبيق) عام ١٩٥٠.

كتب وعمل على تحرير العديد من الكتب والدراسات عندما اصبح استاذاً للأبحاث في جامعة إلينوي بين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٥٩ التي صنعت تراكماً وارثاً كبيراً، ومن مجموعة الأعمال المهمة، كتاب نظرية تغير الثقافة عام ١٩٥٥، ودراسة شعب بورتوريكو عام ١٩٥٦، ودراسة شعوب أمريكا الجنوبية الأصليين ١٩٥٩ مع الأستاذ (L. Faron). أنتج في هذه المدة أيضاً عدداً من الحلقات الدراسية عن مدنيات الري عام ١٩٥٥ ومنظورات في المستعمرات الزراعية عام ١٩٥٧.

سمحت له المنحة المعروفة باسم (Ford) في عام ١٩٥٦ من بدء برنامج بحثي جديد عن الانتظام والتداخل الثقافي الذي وصف وحل فيه المستوى الثقافي للشعوب والتميز بين آثار التصنيع والتحضر وتطبيقه على مجموعة متنوعة من المجتمعات في شمال غرب المكسيك، ووسط جبال الأنديز، وغرب أفريقيا، وشرقها، وإندونيسيا، واليابان.

اتخذ هذا البرنامج اسم دراسات في الانتظام الثقافي (Cultural Regularities). الذي حدد فيه أحد عشر باحثاً ميدانياً توجهوا نحو اختبار النظريات التي وضعت في هذا البرنامج، بما في ذلك الاستاذ (R.Stanley) من نيجيريا، وكل من الاستاذ (E. Winter and Th. Beidelman) من تانجانيبي، والاستاذ (R. Manners) من كينيا، والأستاذ (F. Lehman) من بورما، والأستاذ (R. Downs) من مالايا، والاستاذ (T. Yoneyama) من اليابان، والاستاذ (C. Erasmus) من المكسيك، والاستاذ (S. Miller and L. Faron) من بيرو. نفذ العمل الميداني بين عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٩، إذ أمضى مع زوجته عام ١٩٥٧-١٩٥٨ بزيارة للفرق العاملة وقد نشرت النتائج في ثلاثة مجلدات عام ١٩٦٧ بعنوان (التغير المعاصر في المجتمعات التقليدية).

تعين عام ١٩٥٩ في مركز جامعة إلينوي للدراسات المتقدمة بوصفه واحدا من خمسة من الأعضاء البارزين مع (O. Lewis and J. McGregor) ، وقيل انه ساعد في انشاء وزارة مستقلة للأنثروبولوجيا في تلك المدرسة. وبقي في جامعة إلينوي حتى وفاته في عام ١٩٧٢ من مرض الدورة الدموية في وقت مبكر.

يعود له الفضل عموما في إدخال بعض المصطلحات المفاهيمية في المعجم الأنثروبولوجي التي عدت البداية مرة اخرى (de novo) على سبيل المثال، التطور اللا-خطي (multilinear) ومستويات الاندماج الاجتماعي والثقافي (Levels of sociocultural integration) . وبلورة مفهوم الايكولوجيا الثقافية (Cultural ecology) ومفهوم لب الثقافة (Culture core) وارتبط اسمه أيضا بتعديل واعمام

مفاهيم أخرى تستعمل الآن على نطاق واسع في الأنثروبولوجيا، مثل البحث عن الانتظام، والسببية الثقافية (Cultural causality)، وأهمية السياق الأوسع (The larger context) أي القوى والتأثيرات القادمة من خارج في موضع البحث التي يجب أن يحسب لها كمحددات مهمة للتغير المحلي.

على الرغم من أنه قد عد دائماً أنثروبولوجياً ثقافياً، إلا أن له منشورات في علم الآثار تشكل حوالي نصف مساهماته لاسيما المدة الممتدة من العقد الثاني للقرن الماضي إلى بداية العقد الرابع. وساعد في بيان ولو بشكل جزئي انجذابه المستمر مع الصياغات التطورية التي تمتد على حقب طويلة من الزمن. وأكد على أن الخط الفاصل بين الفروع المعرفية لعلم الآثار والأنثروبولوجيا الثقافية كانت مصطنعة إلى حد كبير، في إشارة إلى البيانات الخاصة بالآثار بوصفه تاريخاً لاثنوسات الشعوب (ethnohistory) على (أو في) أرض الواقع. نظراً لأنه يعتقد أن علم الآثار أكثر من أنه المهتم بمخلفات الاواني الفخارية والحفر والتنقيب لاختبار ودراسة طبقات الأرض.

ثانياً:

### الموجهات النظرية:

استدل (Steward) عند متابعة مجموعة من القضايا الاكاديمية لمدة من الزمن، بوجود تناقض أكاديمي معقد اولهما: الاجتذاب الذي حفز الكثير من علماء الأنثروبولوجيا الى التحول بشكل كلي من اعتماد ثقافة واحدة إلى ثقافات متعددة، وثانيهما: التآرجح كالبندول بعيداً عن التطور بمقدار ما ذهب اليه. لذا كانت قضيته من هذا التناقض الاساس إيجاد معاينة مقبولة للتطور دون الإزالة من الثقافة. وقد جعلته هذه المسألة باحثاً غير تقليدياً في نظرية النشوء والارتقاء، او ما يعرف بالمدرسة او النظرية التطورية اللا-خطية (Multilinear evolutionary theory) .

تركزت معايته على مفاهيم الإيكولوجيا والنماذج الثقافية، والتطور اللا-خطي او المتعدد الخطوط (Multilinear) التي وهبت الأنثروبولوجيا في الثلاثينيات

والأربعينيات بديلاً مجدياً للمناهج التقليدية المتبعة بدراسة التطور الثقافي في ذلك الوقت. وقد سار عكس علماء التطورية الكلاسيكية، إذ أكد في اشتغالاته على فردانية الثقافات المختلفة. وادعى انه لا يمكن تخفيض كل تجربة الإنسانية إلى بضع مراحل متميزة للارتقاء الثقافي. وان التطور اللا-خطي الذي دعا اليه في منهجيته يستند الى عدم الحفاظ على وجود مراحل عالمية للارتقاء. هذا يعني أن منهجيته معنية بالانتظام في التغيير الاجتماعي، والهدف منها تطوير القوانين الثقافية تجريبياً.

يتمحور التطور اللا-خطي على أنماط موازية للارتقاء، التي تعد نماذجاً ثقافية لها صلاحية التداخل او التقاطع (Cross cultural) ويظهر بالخصائص الاتية:

١. يتكون التطور اللا-خطي من عناصر ثقافية محددة او منتخبة بدلاً من الثقافات بوصف ان هذه العناصر تمثل الكل.

٢. يجب تحديد العناصر الثقافية ذات العلاقة لمساندة مسألة التطور بإطار مرجعي.

٣. العناصر الثقافية التي يتم اختيارها يجب أن يكون لديها نفس العلاقات الوظيفية في كل ثقافة توائم النموذج (3: P99-P100).

لذا استقر مفهوم التطور الثقافي (Cultural evolution) عنده على تصورين أساسيين، أولاً: التسليم بارتقاء التوازيات الاصلية (Genuine parallels) للشكل والوظيفة في تسلسلات مستقلة تاريخياً أو التقاليد الثقافية، ثانياً: تفسير هذه التوازيات بعملية مستقلة للسببية المتماثلة في كل حالة على حدة. وهكذا، استدعى فهم التطور الثقافي الى اكتشاف أوجه التوازي وأوجه التشابه التي تتكرر في الثقافات واقترحه وجود بيانات خصائص القانون (lawlike) فيما يخص الأسباب لمثل هذا التوازيات\*. يعني ان منهجيته تتمثل في إيجاد وتوضيح أوجه التشابه بين المجتمعات دون

---

\* استل مفهوم التطور المتوازي من البيولوجيا او العلوم الطبيعية بشكل عام وغرضه تفسير التماثلات في تطور الثقافات المتباعدة عن بعضها البعض، وقد وظفه اول الامر رواد التطورية.

افتراض أن جميع المجتمعات تمريرها من خلال مراحل مماثلة من الارتقاء. وانه يتعامل مع التطور اللا-خطي فقط مع تلك التوازيات المحدودة في الشكل والوظيفة، والتسلسل الذي يمتلك الصدق الامبريقي. ما مفقود في العالمية سيتم اكتسابه في الواقعية والخصوصية (1: p201).

بعض النماذج الثقافية المعروفة هي الاقطاع والاستبداد الشرقي، وعصبة الخط الأبوي او العصبة الابوية (Patrilineal band). وقد ميز (Steward) في دراساته للعصبة الابوية أولاً على انها النموذج الثقافي التي لها العناصر المحددة الآتية:

أ- الابوية.

ب- السكنى الابوية المحلية.

ت- الزواج الخارجي.

ث- ملكية الأرض.

ج- نموذج معين (محدد) لتكوين النسب (4: p321).

وفقاً لتصوير (Steward) تكون هذه العناصر الثقافية المحددة، متداخلة ثقافياً ومتكررة. وموجودة عند قبائل مثل البوشمن في جنوب أفريقيا وعند سكان تسمانيا في استراليا، وبعض جماعات هنود الشوشون، ومجموعة متنوعة من الثقافات الأخرى.

إذا، جاءت النماذج الثقافية، كالتكيفات الثقافية للبيئة، وتمثل كل منها مستوى الاندماج الاجتماعي والثقافي. ومع ذلك، يختلف تكيف الانسان لبيئته، عن غيره من الكائنات الحية. وان تكيفه (الانسان) أكثر سرعة من خلال ثقافته، وكيانه فوق العضوي (Superorganic)\*، مما يفعله من خلال تركيبه العضوي.

---

\* فوق العضوية: يعني في العلوم الحياتية وصف الوحدة الاجتماعية للعمل، أي درجة عالية من التخصص حيث ليس للكائن القدرة على البقاء على قيد الحياة في حد ذاته لفترات طويلة، كما

ومع ذلك، شدد على أن مدى نفوذ الثقافة في الأنشطة الإنتاجية يعد دائماً قضية تجريبية. وقد كان لها تأثير قوي، سواء في التفكير التطوري او على تطوير المناهج الإيكولوجية لدراسة المجتمع.

ثالثاً:

### النسق الإيكولوجي والموئل الثقافي:

أوضح الأستاذ (M. Bates) في مقالة تعد كلاسيكية نشرها في الكتاب الذي عمل على تحريره الأستاذ (A. Kroeber) من ان الإيكولوجيا ليست فرعاً انثروبولوجياً معرفياً، ولا حتى منهج للقياس في الأنثروبولوجيا وإنما يمكن تعريفها (الإيكولوجيا) بانها العلم الذي يتعامل مع دراسة التجمعات الكاملة للكائنات الحية، وأوساطها الفيزيائية، التي تشكل مجتمعة نظم متكاملة (5: p182). وبصيغة أكثر بساطة، من ان الإيكولوجيا هي دراسة ديناميات بناء الطبيعة بوصف ان كيان النوع البشري جزءاً من الطبيعة. وان معنى الإيكولوجيا المبدئي هو التكيف مع البيئة. وقد أبصر منذ وقت عالم الأحياء (Darwin)، الى ان البيئة كشبكة كلية للحياة يتفاعل فيها جميع الأنواع النباتية والحيوانية مع بعضها البعض ومع الخصائص الفيزيائية في وحدة معينة من الأرض. وذكر قاموس (Webster) الى ان المعنى البيولوجي للإيكولوجيا هي: العلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية وبيئتها. ويستعمل مفهوم التفاعل التكيفي لتفسير أصل الأنواع الوراثة الجديدة في التطور ولشرح الاختلافات الظاهرية (الشكلية phenotypical) والى وصف شبكة الحياة نفسها من حيث المنافسة والخلافة او التوارث، والذروة، والانحدار، ومفاهيم فرعية أخرى.

---

هو الحال في مجتمع النمل او النحل عند جمع الغذاء او اختيار وبناء مكان العيش، ويعني في العلوم الاجتماعية كالأنثروبولوجيا والسيكولوجيا الى انه هناك تطور طبيعي للكائن العضوي يرافقه تطور فوق عضوي هي الثقافة، بمعنى ان الثقافة هي كيان فوق الحياة العضوية للبشر وليست مستقلة عنهم.

كل من هذه التعاريف تتبع من المفاهيم المتقدمة لعلم الأحياء والطبيعة البيولوجية للكائنات. إذ عملت الثنائية التي تفصل بين دراسة البيئة الطبيعية من دراسة البيئة البشرية بفعالية في الماضي وعزلت العلوم الطبيعية عن العلوم الاجتماعية. على الرغم من أن العمل في البداية يشير إلى التجمعات الحيوية، وبطبيعة الحال امتد مفهوم الإيكولوجيا ليشمل البشر نظراً لأنهم يشكلون جزءاً من نسيج الحياة في معظم أنحاء العالم. ومع ذلك، يدخل الإنسان المشهد الإيكولوجي، ليس مجرد أي كائن حي آخر قد ارتبط بالكائنات الحية الأخرى من حيث صفاته الفيزيائية. إنه يجلب عامل فوق العضوي للثقافة، الذي أيضاً يؤثر ويتأثر بالشبكة الإجمالية للحياة. وإن ما يجب فعله إزاء هذه العامل الثقافي في الدراسات الإيكولوجية هو أثارته العديد من الصعوبات المنهجية التي أقرها معظم علماء الإيكولوجيا البشرية والاجتماعية، وتكمن الصعوبة الرئيسية في الافتقار إلى الوضوح بشأن الغرض من استعمال المفهوم للإيكولوجيا. إذاً الهدف النهائي للدراسة الإيكولوجية عادة هو تفاعل السمات الفيزيائية والبيولوجية والثقافية ضمن الإعدادات المحلية أو وحدة الأراضي (الإقليم). أو إن الإيكولوجيا البشرية أو الاجتماعية فرعاً معرفياً ومن أولوياتها التسوية وليس كوسيلة لتحقيق شيئاً من الغاية العلمية. وبعد الوصف امراً أساسياً فيها، ويستعمله الإيكولوجيون تجريبياً لشرح أنواع عدة من الظواهر البيولوجية، وإن افتقر التحليل البيولوجي إلى أهداف واضحة (P5-P6: 6) .

وإذا عدت الإيكولوجيا البشرية أو الاجتماعية أداة تنفيذية وليس غاية في حد ذاتها، فإنه ينبغي اقتراح هدفين موضوعيين اثنين مختلفين تماماً: الأول، فهم الوظائف العضوية والاختلافات الوراثية للإنسان بوصفه فصيلة بيولوجية بحتة؛ وثانياً، تحديد كيفية تأثير الثقافة على التكيف للبيئة. ويتطلب كل منهما المفاهيم والأساليب الخاصة (p323: 4) .

ينطوي الهدف الأول، أو البيولوجي، على مشاكل مختلفة عديدة إلى حد ما، ومع ذلك، كل منها يجب أن يتم عرض الإنسان في شبكة الحياة. لأنه (الإنسان) يعد من

الحيوانات المستأنسة (Domesticated animal)، والثاني أنه يتأثر فعلياً بجميع أنشطته الثقافية. وان تطور القردة العليا له ارتباطاً وثيقاً بظهور الثقافة، في حين ظهور الإنسان العاقل هو على الأرجح أكثر نتيجة لأسباب ثقافية من الأسباب الفيزيائية.

ان استعمال الأدوات، والنار، والمأوى والملبس، والأطعمة الجديدة، ومساعدات مادية أخرى هو لأجل البقاء، وكان من الواضح لها أهميتها في التطور، ولكن ينبغي عدم التغاضي عن العادات الاجتماعية. وانه من دون شك ان الجماعات الاجتماعية على النحو الذي تم تحديده بعادات الزواج وكذلك بالأنشطة الاقتصادية وبخاصة البيئات عاملاً حاسماً في اختلاف السكان المحليين، وقد أسهم ربما إلى ظهور أصناف اجناس فرعية من الناس.

اكتسب المفهوم الشامل للنسق الإيكولوجي (ecosystem)\* في الآونة الأخيرة قبولاً واسعاً بوصفه نموذج النظام العام الكفوء بما يتضمنه من أنشطة الانسان وفعالياته. اذ يجمع النسق الإيكولوجي مفاهيم علم الأحياء، والتنظيم، وسلوك الانسان وسائر الحيوانات والنباتات، والمفاهيم غير العضوية ضمن إطار واحد قد يكون التفاعل بين المكونات مجالاً للدراسة (P183: 5). هذه جاذبية خاصة للأنثروبولوجيا حيث أنها تسمح لدراسة التفاعلات التي تعتمد على بعضها بعضاً من المكونات العضوية وغير العضوية، والاجتماعية والثقافية.

يرى (Steward) ان مسألة شرح السلوك الثقافي للإنسان هي النظام المختلف من ذلك الذي يشرحه تطوره البيولوجي. اذ لا تستمد الأنماط الثقافية وراثياً، ولذلك لا يمكن أن يتم تحليلها بنفس الطريقة بوصفها سمات او مميزات العضوية. على الرغم من دفع علماء الايكولوجيا الاجتماعية المزيد والمزيد من الاهتمام الى الثقافة في

---

\* مجموعة من العناصر المترابطة، التي تشكلت من تفاعل مجتمع من الكائنات الحية مع بيئتها. او تجمع للكائنات الحية من نبات وحيوان وكائنات أخرى كمجتمع حيوي تتفاعل مع بعضها في بيئتها في نظام بالغ الدقة والتوازن حتى تصل إلى حالة الاستقرار.

تحقيقاتهم، الا انه لا يتم تفسيرها بحد ذاتها، ويقدر ما أستطيع أن أرى، أصبحت هدفاً رئيساً لهم (p324: 4) .

اكتسبت الثقافة بالكاد زيادة التركيز بوصفها واحدة من العديد من الميزات لشبكة الحياة المحلية، ولا تزال أدوات التحليل قد اقترضت في الاغلب من علم الأحياء. لان المفاهيم الرئيسية للإيكولوجيا البيولوجية هي المجتمع المحلي-من النباتات والحيوانات التي تتفاعل داخل المكان او هذه المحلية-وتؤكد الإيكولوجيا الاجتماعية أو البشرية على المجتمع البشري المحلي بوصفه وحدة الدراسة.

ولكن المجتمع المحلي\* (Community) تجريداً عاماً جداً ولا معنى له. وإذا أمكن تصويره في الاصطلاح الثقافي، فانه قد يمتلك العديد من الخصائص المختلفة تبعاً للغرض الذي تم تعريفه فيه. ومع ذلك، كان الاتجاه هو التصور للمجتمعات البشرية والبيولوجية من حيث المفاهيم البيولوجية للمنافسة والخلافة او التوارث، والتنظيم الإقليمي، والهجرة، والتدرجات، وما شابه.

كل هذه مستمدة أساساً من الحقيقة الكامنة للإيكولوجيا البيولوجية التي كفاحها لا هواده فيه وأولي من اجل الحياة (ضمن وبين) كل من الفصائل المتنافسة التي تتحدد في نهاية المطاف بالإمكانات الوراثية للتكيف والبقاء على قيد الحياة في الحالات البيئية الحيوية خاصة. وان التعاون البيولوجي، مثلما حدث في العديد من أشكال التعايش، مساعداً تماماً لبقاء الفصائل او الأنواع.

---

\* المجتمع المحلي في علم الأحياء والايكولوجيا: هو مجموعة الكائنات الحية التي تتشارك بيئة واحدة. قد تحوي هذه الجماعات من الكائنات الحية نباتات أو حيوانات أو أي نوع حي species، من أي حجم كان. ما يميز هذه الجماعات هي التأثيرات التشاركية التي تتفاعل بها مع بعضها بطرق متعددة. اذ يكون التفاعل بأساليب ثلاثة هي: المنافسة (competition) والافتراس (predation) وتبادل المنافع والمصالح (mutualism) تعمل الأولى على اسقاط او فقدان أحد الفصيلتين المتنافسين، والثانية بالريح او الخسارة للفصيطة، والثالثة للتعاون وتحقيق المكاسب بين الفصائل.

ويؤكد (Steward) من ان البشر لا يتجاوب إلى شبكة الحياة فقط من خلال معدات العضوية المشتقة وراثيا. اذ تشرح الثقافة، بدلاً من ذلك الإمكانيات الوراثة للتكيف، والسكن، والبقاء على قيد الحياة، وطبيعة المجتمعات البشرية. وعلاوة على ذلك، قد تمتد شبكة الحياة لأي مجتمع بشري محلي أبعد من البيئة المادية الفيزيائية المباشرة والتركيبة الحيوي او الاحيائي (Biotic assemblage).

تحددت طبيعة الجماعة المحلية في الدول والأمم والامبراطوريات، من هذه التكوينات الكبيرة التي لا تقل عن تعديلات التكيفات المحلية. قد تكون المنافسة من نوع واحد أو آخر موجودة، ولكن دائما ما يتم تقريرها ثقافيا وأنه ليس غالباً ما ان يكون التعاون بدلاً من التنافس هو المعين او المفروض. إذا، وبالتالي إن طبيعة المجتمعات البشرية هي الهدف من التحليل، وسيتم العثور على تفسيرات من خلال استعمال مفاهيم وطرق التاريخية الثقافية بدلا من المفاهيم البيولوجية، على الرغم من ذلك، انه قد يظهر لنا، من ان الأساليب التاريخية وحدها لا تكفي (1: p199).

ويوضح (Steward) من انه قد لمس العديد من كتاب الإيكولوجيا الاجتماعية أو البشرية الى ضرورة التمييز بين الظواهر البيولوجية والثقافية والاساليب، وان لم يتم وضع بعد فروق واضحة. لذا اكد على تمييز الأستاذ (Hollingshead) للفرق بين النظام الإيكولوجي (Ecological order) الذي يكمن أساسا في المنافسة، والتنظيم الاجتماعي (Social organization) الذي تطور من التواصل، أي يفترض اغلب المفكرين الغربيين من ان التمييز الواضح بين الانساق الايكولوجية والاجتماعية يقع بين الطبيعة والمجتمع، وقد زود الاستاذ (Hollingshead) هذه الثنائية للحديث عن الأنظمة الايكولوجية والاجتماعية (السوسيولوجية) ، فالنظام موجود في أي مكان من الطبيعة (Nature) في حين الاخر (الايكولوجي والسوسيولوجي) هو المقصور او المخصص، ويكون التفريق على أساس الظواهر البشرية، فتجذر الأول في التنافس، وتطور الاخر كثيراً من التواصل، وان تأسيسه (Hollingshead) لهذه الثنائية هو لتحديد اطروحته التي تؤكد من ان الطبيعة والمجتمع لم تظهر جلياً كالميادين

المفصولة كلياً، ولكن المترابطة جدلياً، فكل نظام يتم ويزود الاخر بطرق عديدة (7: p48).

يعد هذه الموقف محاولة لوضع تصور للمنافسة كفئة متميزة تماما عن جوانب أخرى من السلوك الثقافي المحدد الذي هو بطبيعة الحال غير الطبيعي. اذ يقر عالم الأحياء البشري (M. Bates) بأهمية الثقافة في تحديد طبيعة المجتمعات، لكنه لم يوضح ما إذا كان استعمال الإيكولوجيا البشرية لشرح نطاق التكيف البيولوجي للإنسان بموجب الأوضاع البيئية والثقافية، أو ما إذا كان أنه مهتم بثقافة الانسان.

كانت مدرسة شيكاغو لكل من (Park and Burgess) وأتباعهم مهتمة أساسا في المجتمعات المحلية للبشر أيضا، لا سيما في المجتمعات الحضرية. اذ تتعامل منهجيتها على النحو الذي تم تطبيقه في مدينة شيكاغو ومدن أخرى مع المكونات لكل منها كما لو كانت الفصائل مصممة وراثيا. وتعد هذه المدرسة في تحليل التخطيط العمراني لمدينة حديثة، من ان فئات مثل شركات البيع بالتجزئة وبالجملة والمنازل ومساكن بمختلف أنواعها، وشركات التصنيع، وحتى مثل هذه الميزات الإضافية كنسبة الجنوح، كما لو كانت كالفصائل البيولوجية في المنافسة مع بعضها البعض لمناطق داخل الحيز الحضري (4: p324).

ويعلق (Steward) ان مثل هذه الدراسات مفيدة للغاية بوصفها التحليل الوصفي للحصول على توزيعات خاصة لأنواع من الأنشطة داخل مدينة أوروبية-أمريكية حديثة. ومع ذلك، أنها ليس بالضرورة لها القدرة على توضيح أي ومضة على التكيفات الإيكولوجية الحضرية على نطاق العالم، لأنه في ثقافات أخرى ومرحلية عصور المدينة قد انتهجت مبادئ تعينت ثقافيا بشكل مختلفة جداً. بدلا من ذلك كانت الثقافة أداة المنع على سبيل المثال، لمعظم المدن في الحضارات القديمة التي قد خططت لها بعناية سلطة مركزية للمهام الدفاعية والإدارية والدينية. فالمشاريع الحرة التي ربما اجازت المنافسة بين المؤسسات والمجتمعات الفرعية ناشئة عن هذه الوظائف للمناطق (4: p324-p325).

وبشارك في هذه المعاني المختلفة التي تعلق على الإيكولوجيا مشكلة علمية أساسية: هل الهدف هو العثور على قوانين عالمية، أم أنها لتفسير الظواهر الخاصة؟ في علم الأحياء، ان قانون التطور ومبادئ الإيكولوجيا مساعدة وقابلة للتطبيق لكافة شبكات الحياة بغض النظر عن الفصائل والبيئات الفيزيائية المعنية. اما في دراسات العلوم الاجتماعية، فهناك جهد مماثل لاكتشاف عمليات التغيير الثقافي العالمي.

ولكن لا يمكن تصور مثل هذه العمليات من الناحية البيولوجية. اذ تشرح العلوم الاجتماعية أصل أنماط السلوك المغايرة الموجودة بين المجتمعات المختلفة للجنس البشري التي هي مختلفة جداً من مشاكل التطور البيولوجي. ويظهر تحليل التكيفات البيئية كيف تنشأ الأنماط الثقافية الجديدة التي هي مسألة مختلفة جداً من السعي لأوجه التشابه العالمي في مثل هذا التكيف. حتى ان عمليات الإيكولوجيا الثقافية هي المفهومة في تفاصيل كثيرة تمثل ثقافات مختلفة في أجزاء مختلفة من العالم وانه سيكون من المستحيل صياغة العمليات الكونية (p325: 4).

وهب الاستاذ (A. Hawley) الى عهد قريب الايكولوجيا الاجتماعية شمولية أكثر، اذ يأخذ الظواهر الثقافية في الاعتبار أكثر بكثير من سابقه. ويذكر أن الانسان يتفاعل مع شبكة الحياة كحيوان ثقافي بدلاً من انه فصيلة بيولوجية. ويسعى الحصول على كل تقنية جديدة أو استعمال جديد من أسلوب قديم، بغض النظر عن مصدره الأصلي، ويغير الانسان العلاقات مع الكائنات الحية التي حوله ويغير موقفه في المجتمع المحلي الحيوي! ولكن، الانشغال مع مجمل الظواهر داخل الموقع هو وعلى ما يبدو لأجل البحث عن علاقات عالمية، اذ يجعل (Hawley) المجتمع المحلي محط الاهتمام.

يمكن العثور إلى هذه الأنواع من الاعمامات في نص (Hawley) الاتي: إذا كان لدينا معرفة كافية عن الشعوب البدائية فإنها تمكنا من مقارنة بناء نظام الإقامة للجماعات في ترتيب حجمها من الأصغر إلى الأكبر، وانه ينبغي أن نلاحظ من

دون شك نفس الظاهرة-أي زيادة في حجم يرافقه تقدم في تعقد التنظيم- (p325: 4)  
.p326)

هذا النوع من الاعمام أمراً بديهياً أدلى به أنصار التطور الخطي: إذ يتجلى التقدم الثقافي في تزايد السكان والتخصص الداخلي وضوابط الحالة وكل الميزات العامة الأخرى. وان (Hawley) غير متأكد من موقفه بشأن تأثير التكيف البيئي على الثقافة. إذ يقول: "تجبر جسامة الأدلة استنتاجاً مفاده بأن تمارس البيئة الفيزيقية ذلك لكن يكون في حد التأثير المسموح به والمحدد، لكنه يقول أيضاً أنه ليس فقط سماحية كل موئل (habitat) ولكن إلى حد معين يتطلب طريقة حياة مميزة. يتطابق النص الأول عن كذب مع الموقف الأنثروبولوجي المقبول على نطاق واسع من أن العوامل التاريخية أكثر أهمية من العوامل البيئية التي قد تكون متساهلة أو مانعة لتغيير الثقافة ولكن ليست ابداً السببية. والثاني أقرب إلى أطروحة هذا البحث من أن التكيفات الإيكولوجية الثقافية تشكل العمليات الإبداعية.

رابعاً:

### الحتمية البيئية ومنطقة الثقافة:

بينما يسعى علماء الإيكولوجيا البشرية أو الاجتماعية في الظاهر إلى مبادئ إيكولوجية عالمية واخفاض الثقافة في تشكيلاتها المحلية إلى حيز عرضي أو ثانوي، فان علماء الأنثروبولوجيا قد انشغلوا جداً بالثقافة وتاريخها وأولوا للبيئة فقط دوراً ضئيلاً. ويرجع ذلك في جزء منه إلى رد فعل ضد علماء الحتمية البيئية: مثل (Huntington and Semple)، وجزئياً إلى الأدلة التراكمية بان أي ثقافة تزداد في تعقيدها إلى حد كبير بسبب الممارسات المنتشرة، ويحمل الرأي المألوف الآن هذا التوجه من ان التاريخ، بدلاً من عمليات التكيف، هو المفسر للثقافة. لان التفسيرات التاريخية للثقافة توظف مفهوم منطقة الثقافة (culture area) هذا يعني ان هناك تناقض واضح.

يعرف كل من (M. Sutton and E. Anderson) منطقة الثقافة بأنها أقالم جغرافية ذات نطاق واسع تماثل فيها البيئة والثقافة أحدهما للآخر وبشكل خاص في نماذج الاقتصاديات (8: p16) أي انها بنية الإتساق السلوكي التي تحدث داخل منطقة الإتساق البيئي. ومن المفترض أن تتزامن المناطق الثقافية والطبيعية عموما لأن الثقافة تمثل تعديلا لبيئة معينة، مع ذلك، انه من المفترض أيضا أنه قد تعيش أنماط مختلفة متعددة في أي منطقة طبيعية وان تلك الثقافات المغايرة قد تكون موجودة في بيئات مماثلة.

لذا يعد المنهج التاريخي-الثقافي\* ، واحدا من توجهات النسبية، لان الاختلافات الثقافية لا تعزى مباشرة إلى الاختلافات البيئية وبالتأكيد ليس إلى الاختلافات العضوية أو الرسية، انها بالكاد مقولة لتمثيل الاختلافات في التاريخ الثقافي، وتعكس هذه الاختلافات مسارات المجتمعات الى الارتقاء في طرق مغايرة. وانها غير قادرة على تفسير هذه المسارات. وكما يقال ثمة نمط متميز يتطور، ومن الآن فصاعدا هو العامل الرئيس الذي يحدد ما إذا كان يتم قبول الابتكارات.

انحدرت البيئة إلى قاعدة ثانوية بحتة وسلبية. وتعد مانعة أو مانحة، ولكن لا الإبداعية. أنها تسمح للإنسان القيام ببعض أنواع الأنشطة، وتمنعها عن الآخرين. ويتم دفع أصل هذه الأنشطة مرة أخرى إلى نقطة بعيدة في الزمان أو المكان، ولكن غير مشروحة. وأفضل من أعرب عن وجهة النظر هذه الاستاذ (C. D. Forde) الذي يقول: لا تقسيمات العالم لاقتصادات متنوعة، ولا تميمتها وأهميتها المتبادلة بين

---

\* كان الاهتمام موجها في البدايات الاكاديمية للأنثروبولوجيا نحو بيان التطور التاريخي (الاجتماعي والثقافي) لنظم الإنسان كالزواج والاسرة، وخير من مثله رواد التطورية، ثم اعقبهم رواد الانتشارية بتوجيه الاهتمام نحو الانتشار التاريخي للسمات الثقافية المركزي والدائري، ومن ثم رائد المدرسة الامريكية (Boas) وتلاميذه بالتوجه نحو التاريخية-التجزئية للثقافة عند توجيه الاهتمام نحو منطقة العناصر الثقافية او ما يعرف بمنطقة الثقافة لبيان مفهوم النمط ومدى تماثله في أقاليم جغرافية.

شعوب معينة، يمكن ان تكون ذات خصوصية بوصفها الوظائف البسيطة للظروف الفيزيكية والموارد الطبيعية، وانه هناك دائما بين البيئة الفيزيكية والنشاط البشري المدى المتوسط، أي مجموعة الأهداف والقيم المحددة، وهيئة المعرفة والمعتقد: وبعبارة أخرى، النمط الثقافي (p326: 4) .

يوضح (Steward) من أن الثقافة ذاتها ليست ثابتة، وإن لها القدرة على التكيف وقابلة للتعديل فيما يرتبط بالظروف الفيزيكية، ويجب عدم السماح لإخفاء حقيقة أن عائدات التكيف من خلال الاكتشافات والاختراعات التي هي نفسها في أي معنى لا مفر منها والتي هي في أي مجتمع محلي فردي، كلها تقريبا من عمليات الاستحواذ أو الإملاءات من الخارج.

ويضيف (Steward) من ان شعوب القارات كلها قد فشلت من جعل الاكتشافات التي قد تبدو أول وهلة واضحة. وبنفس القدر من الأهمية هي القيود التي تفرضها أنماط السلوك الاجتماعية والمفاهيم الدينية على الاستفادة من موارد معينة أو على التكيف مع الظروف الفيزيكية (p327: 4).

ولكن إذا فشلت الحتمية الجغرافية في حساب العيش وتوزيع الاقتصادات، فإنها أيضاً غير كافية على قدم المساواة لاحتساب التنظيمات الاجتماعية والسياسية، والمعتقدات الدينية والمواقف النفسية التي قد تكون موجودة في الثقافات على أساس تلك الاقتصادات. والواقع أن الاقتصاد مدين بقدر للنمط الاجتماعي والطقوس كما يفعله طابع أو خاصية المجتمع للاقتصاد. وان امتلاك الانسان أساليب معينة للصيد أو الفلاحة، وبعض النباتات المزروعة أو الحيوانات المنزلية، فانه ليس من الحكمة ان تحدد هذه الاساليب نمط المجتمع السلوكي (p328: 4) .

هناك تفاعل على مستوٍ جديد. إذ قد تحد الظروف الفيزيكية من إمكانيات الاقتصاد، وهذا يعني إن الاقتصاد بدوره قد يكون الحد أو عامل تحفيز بالنسبة لحجم وكثافة واستقرار المستوطنات البشرية. وإلى الوحدة الاجتماعية والسياسية. لكن مثل هذا العامل هو واحد فقط، وقد لا تكون الفائدة مأخوذة من الفرص التي يوفرها. ان

الحياسة ونقل الأراضي والممتلكات الأخرى، والتطور والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية، وطبيعة الحكومة، واحتفالية الحياة الدينية -كلها أجزاء البنية الفوقية الاجتماعية، وان الارتقاء هو المكيف حسب أسس الموثل والاقتصاد، لكن بالتفاعلات المعقدة داخل نسيجه الخاص، وان الاتصالات الخارجية، في كثير من الأحيان غير مبال إلى حد كبير لكل من الخلفية الفيزيقية والأساس الاقتصادي على حد سواء.

### خامساً:

### لب الثقافة والتطبيق البشري:

تم معاينة مفهوم اللب الثقافي (الكلام ل Steward)، على انه كوكبة من السمات الأساسية، التي هي الأوثق صلة بأنشطة العيش والنظم الاقتصادية، الذي يتضمن الأنماط الاجتماعية والسياسية والدينية كما يتحدد تجريبيا ويؤلف ارتباطاً وثيقاً بهذه النظم. ومن الميزات الأخرى التي لا حصر لها ربما امتلاك الانسان امكانات كبيرة(مؤهلات)لأنها ترتبط بقوة أقل الى اللب. هذه الميزات الأخيرة، أو الثانوية، هي المحددة بدرجة أكبر من خلال عوامل ثقافية تاريخية بحتة--الابتكارات العشوائية أو بانتشارها-وتعطي المظهر للتمايز إلى خارج الثقافات مع النوى(اللب)المشابهة. كما تولى الإيكولوجيا الثقافية اهتماما اساسيا لتلك الميزات التي يظهر فيها التحليل التجريبي الى ان يكون متشارك بشكل وثيق في الاستفادة من البيئة بالطرق المقررة ثقافيا، وان التعبير " يجب اتخاذ طرق منصوص عليها ثقافيا بحذر، لاستعماله أنثروبولوجيا هو المشحون loaded في اغلب الأوقات، اذ لا تمثل الدرجة ونوع الترابط(الاعتماد المتبادل) الشيء نفسه مع جميع الميزات- (p5: 6) p6. أي تعد النواة الثقافية او اصطلاح اللب الثقافي(Cultural core) الأساس التصوري بحيث ان النموذج هو نتيجة التكيف البيئي. ويكون اتساق نتائج النموذج من الاستغلال المماثل للبيئة عند كل هذه الجماعات. وقد يكون عدد النماذج الثقافية ضخمة، وأنه لا يمكن ان ينتظم في فئات او اصناف تطويرية واسعة(p6: 6).

ان مفهوم (Steward) الأساس هو لب الثقافة. التي طالما أشار اليه بأنه المكون من الميزات الأساسية للحياة الاجتماعية والاقتصادية التي تعد الأكثر ارتباطاً بالعيش في مكان معين:

- تشمل هذه الميزات الاستراتيجيات التكنولوجية والممارسات الفيزيكية التي تطور الثقافات المحلية لكي تتكيف مع الظروف الإيكولوجية لمكانها المحلي؛ فتكيف التكنولوجيا هو استغلال الظروف البيئية في المكان.

- وعليه، يبرز التنوع الثقافي من التنوع البيئي كما هو واضح في مجموعة متنوعة التكنولوجيات والممارسات المادية المرتبطة بالعيش بين الثقافات المختلفة؛ إذ تضع الثقافات الجبلية استراتيجيات وتقنيات للعيش مختلفة بالمقارنة ثقافات مع السهول والثقافات الصحراوية، وثقافات الغابات المطيرة والثقافات البحرية الخ.

- اقترح (Steward) من ان أساليب الإيكولوجيا الثقافية هي لتأكيد التكنولوجيا والممارسات الفيزيكية للعيش التي تقوم بتعريف لب الثقافة الممنوح؛ أي تنطوي الإيكولوجيا الثقافية على دراسة العلاقة بين التكنولوجيا المستعملة في إنتاج العيش الى البيئة التي يتم استعمالها؛ ثم صلتها بالأنماط السلوكية الأخرى، مثل القرابة والقانون العرفي، وممارسات تربية الأطفال، والعمل الجماعي، والطقوس الدينية الى نمط استراتيجيات العيش.

ان المفهوم المعياري، الذي ينظر إلى الثقافة بوصفها نسق من الممارسات المدعومة بعضها بعضا بالتبادل قد تعزز بمجموعة من المواقف والقيم، ويبدو إلى ان يعد كل سلوك الإنسان كما لو تم تحديده تماما من الثقافة وأن التكيفات البيئية ليس لها أي أثر. وإنه يرى أن نمط كامل من التكنولوجيا المستعملة وحياسة الأرض، والسمات الاجتماعية تتبع تماما من الثقافة. لذا تشرح الرسوم التوضيحية الكلاسيكية لسيادة المواقف الثقافية على الفطرة السليمة من أن شعب الصين لا يشرب الحليب ولا يأكل الأسكيمو عجل البحر(الفقمة) في الصيف. وبطبيعة الحال، تميل الثقافات،

إلى إدامة نفسها، وقد يكون التغيير البطيء للأسباب المذكورة انفاً. ولكن على مدى آلاف السنين تغيرت الثقافات في بيئات مختلفة كثيراً، وهذه التغييرات أساساً يمكن عزوها إلى تعديلات جديدة تلزم بتغيير النظم الإنتاجية والتكنولوجيا. وعلى الرغم من الحواجز الثقافية العرضية، فقد انتشرت الفنون أو الآداب الناجعة على نطاق واسع جداً، وحالات فيها ضئيلة من أنها لم يتم قبولها بسبب الأنماط الثقافية القائمة (6:p6-p7).

في أوقات ما قبل الزراعية، التي تتألف ربما ٩٩ في المائة من التاريخ الثقافي، تبدو الأجهزة التقنية للصيد، والجمع، وصيد الأسماك قد انتشرت إلى حد كبير في حدود فائدتها. فالعصي، والرماح، والفخاخ، والأقواس، والنار، والحاويات، والشباك، والعديد من السمات الثقافية الأخرى انتشرت في العديد من المناطق، وبعض منها في جميع أنحاء العالم. وفي وقت لاحق، انتشرت النباتات والحيوانات المستأنسة أيضاً بسرعة جداً في حدود البيئية، وإن هناك كائنات قد استوقفتها فقط حواجز المحيط الذي يعد هائلاً أو ضخماً. مع ذلك، فيما لو أن التكنولوجيا الجديدة ليست ذات قيمة وظيفية على المستوى الثقافي للمجتمع وكذلك مع الإمكانيات البيئية، لوجدت كل مجتمعات ما قبل الزراعة والصيد وجمع الثمار تقنيات مفيدة.

ضمن الحدود الجغرافية للرعي، والاستقرار، تم اعتماد مثل هذه التقنيات. وإن أجزاء تقنية صغيرة ذات فائدة، مثل التعدين، غير مقبولة إلا إذا كانت تتمتع ببعض الشروط المسبقة، مثل السكان المستقرين، والوقت الملائم، والتخصيص الضمني الذي كان حاضراً. ويمكن أن تتطور هذه الشروط فقط من التكيفات البيئية الثقافية للمجتمع الزراعي. ومع ذلك، مفهوم الإيكولوجيا الثقافية، هو أقل اهتماماً بالأصل ونشر التكنولوجيا من حقيقة أنه يمكن أن يستعمل بطريقة مختلفة، وينطوي على نظم اجتماعية مختلفة في كل بيئة. وليست البيئة فقط متساهلة أو مانعة فيما يتعلق بهذه التكنولوجيا، ولكن السمات المحلية الخاصة قد تتطلب عمليات التكيف الاجتماعي التي لها-عواقب بعيدة المدى. وهكذا، تزودت المجتمعات بأقواس،

ورماح، واطواق، ومزالق، ومصيدة، والاشراك وغيرها من أجهزة الصيد التي قد تختلف فيما بينها بسبب طبيعة التضاريس والحيوانات. وإذا عد الصيد او القنص الأسلوب الرئيس الموجه نحو قطعان كبيرة، مثل قطعان الثور الامريكي (Bison) أو حيوان الرنة(الوعل)، هذا يعني ان هناك ميزة في الصيد التعاونية، وقد تظل أعداد كبيرة من الشعوب معا طوال العام.... إذا كان الصيد من النوع غير المهاجر، الذي يحصل في مجموعات صغيرة ومنتشرة، فانه من الأفضل ان يتم البحث عن طريق مجموعات صغيرة من الرجال الذين يعرفون الصيد جيدا في أراضيهم....

يرى(Steward) ان تكون كل حالة من هذه الحالات بمثابة المستودع الثقافي لأجهزة الصيد من النوع نفسه، ولكن في الحالة الأولى سوف يتألف المجتمع من مجموعات متعددة الاسر (Multifamily) أو متعددة الانساب، كما هو الحال بين قبائل الهنود الحمر لكل من (Athabaskans and Algonkians) في كندا، وربما الصيد للثور الأمريكي في السهول قبل صيد الحصان، وفي الحالة الثانية ربما سيتكون من الأنساب الأبوية المحلية أو العصب، كما بين البوشمن، نيجرييتوس الكونغو، والاستراليين، وتسمانيا، وفوجيانس، وآخرون.

واقع الأمر، هذه الجماعات الأخيرة تتكون من عصب أبوية مماثلة، ليس لأن مجموع بيئاتها متشابهة العيش للبوشمن، وللاستراليين، ولسكان صحاري جنوب كاليفورنيا، ونيجرييتوس في الغابات المطيرة، وفوجيانس في المنطقة الباردة والمطيرة-ولكن نظراً لطبيعة الصيد وبذلك لقضية معيشتهم او جودهم التي هي نفسها في كل حالة على حدة.

ويضيف(Steward) انه قد تظهر في مجتمعات أخرى التي لديها نفس المعدات التكنولوجية أنماط اجتماعية مختلفة، لاختلاف البيئات إلى حد أن التعديلات الثقافية يجب أن تكون مختلفة. على سبيل المثال، استعمال الإسكيمو الأقواس والرماح، الفخاخ، الحاويات وغيرها من الأجهزة التكنولوجية على نطاق واسع، ولكن نظراً لتواجد محدود لأسماك البحار والثدييات، تفرق سكانها حتى شعوب الصيد التعاوني

نسبياً في مجموعات أسرية. ولسبب مختلف ولكن بنفس القدر عند هنود "الشوشون في نيفادا". الذين انقسموا أيضا في مجموعات أسرية. في الحالة الأخيرة، ان ندرة الصيد وغلبة البذور كأساس للعيش، اقتصر إلى حد كبير التعاون الاقتصادي وظهر الحاجة الى تشتت المجتمع إلى مجموعات عائلية مستقلة إلى حد ما.

انه من السهل في أمثلة الصيد البدائية، والجمع، ومجتمعات الصيد، إظهار فيما إذا كانت البيئة المحلية قد تم استغلالها عن طريق تقنيات مكتسبة ثقافياً، اذ هناك قيود على الحجم والتكوين الاجتماعي لجماعات معنية. وان العمل على إدخال التقنيات الزراعية، قد حرر الانسان جزئياً من مقتضيات الصيد وجمع الثمار، وأصبح من الممكن لمجاميع كبيرة من الناس العيش معا. وجعلت المجاميع الكبيرة هذه من زيادة عدد السكان والمجتمعات المستقرة، وتوفير مستوى أعلى من التكامل الاجتماعي والثقافي، التي تحددت طبيعتها بنوع محلي من الاندماج الاجتماعي والثقافي.... اي عينت عمليات التكيف التي تم وصفها كما ينبغي لان تكون الإيكولوجيا. ولكن ليس الاهتمام موجه فقط للمجتمع البشري كجزء من إجمالي شبكة الحياة ولكن لمثل هذه السمات الثقافية التي تأثرت بالتكيفات. وهذا بدوره يتطلب تحول الاهتمام الأساس فقط إلى ميزات البيئية ذات الصلة بدلا من شبكة الحياة لذاتها. وان تلك الميزات التي تعزو اهميتها للثقافة المحلية بحاجة إلى نظر.

سادسا:

### الايكولوجيا الثقافية-المفهوم والمنهج:

نشأ مفهوم الإيكولوجيا الثقافية ضمن مجال (الأنثروبولوجيا)، من سلسلة طويلة من الأفكار والمنشورات المرتبطة بالمسائل البيئية مثل كتاب الأستاذ (E. Semple) عن نفوذ وفعالية البيئة الجغرافية عام ١٩١١، ودراسة الاستاذ (R. McKenzie) عن المنهج الايكولوجي لدراسة المجتمع المحلي البشري عام ١٩٢٤، وكتاب الاستاذ (C. D. Forde) عن الموثل والاقتصاد والمجتمع عام ١٩٣٤، ودراسة الاستاذ (M A. Alihan) عن الايكولوجيا الاجتماعية عام ١٩٣٨، ودراسة الاستاذ (A.

(Kroeber) عن المناطق الطبيعية والثقافية لسكان شمال أمريكا المحليين عام ١٩٣٩، وغيرها من الدراسات. وقد تشكل مبكراً عند دراسة الثقافة إيكولوجيا من معسكرين فكريين، الأول: ادعاء الحتمية البيئية من ان الثقافة قد نجمت عن الفعل الميكانيكي للقوى الطبيعية لتقبل البشر الواعي لها. اذ شعر أصحاب الحتمية البيئية من الثقافات تعمل بشكل انتقائي، أن لم يكن بشكل متقلب، بالاستناد الى بيئاتها، واستغلال بعض الاحتمالات او الفرص بينما يتم تجاهل الأخرى. وأوضح سابقاً الاثنولوجي الامريكي (Otis Mason) من أن العوامل البيئية غير-البشرية تحدد التطور الثقافي، ولكن مع هذا ذكر أيضا أن البيئة تقدم خيارات للثقافات.

**والثاني:** بزوغ الشخصية الأكثر تأثيرا في تطوير الإيكولوجيا ثقافياً هو الاستاذ (Steward). اذ اقر بأن الصعوبة من حيث المبدأ في استعمال العوامل الثقافية في الدراسات الإيكولوجية فضلاً عن عدم وجود أهداف واضحة في الاستعمال البيولوجي للإيكولوجيا. واقترح بوجوب استعمال الأسلوب التفسيري أو السببي مع الايكولوجيا الثقافية الذي عده بالأداة التنفيذية وليس بوصفه غاية في حد ذاته. وللقيام بهذا الأمر، اقترح هدفين اثنين مختلفين (9: p 49):

١. فهم الوظيفة العضوية والاختلافات الوراثية للإنسان بوصفه الفصيلة البيولوجية البحتة.

٢. تحديد مدى تأثير الثقافة بتكيفها مع البيئة.

تركز النظر في مجال الانثروبولوجيا الى الهدف الثاني من هذين الهدفين وأن يكون محط الاهتمام، اذ يعرف (Steward) الإيكولوجيا الثقافية بانها الدراسة التي توضح كيف المجتمع لبيئته، وان قضيتها المبدئية هي لتحديد فيما اذا تستلزم هذه التكيفات تحولات اجتماعية داخلية للتغير التطوري، ومثلما ترد الايكولوجيا البيولوجية تحليلات التكيف الى الترابطات المعقدة التي تصنع البيئة، فان رؤية الايكولوجيا الثقافية للإنسان هي في شبكة الحياة (man in the web of life) أي تلك الشبكة التي تألفت في كل من الحقائق الطبيعية والثقافية (1: p198) او انها الأداة المنهجية

ليبان كيفية التحقق من ان تكيف الثقافة لبيئتها قد يستلزم تغييرات مؤكدة، أو بمعنى أوسع، لتحديد فيما لو تحدث تكيفات مماثلة في بيئات مماثلة (9: p 49) .

مفهومات (Steward) للتكيف الثقافي (نظرياً) مهمة في كسر دائرية الحجة القائلة بأن الثقافة فقط يمكن أن تفسر الثقافة، الذي لا يزال صحيحاً بمعنى. وان المبدأ الأساس في التكيف للثقافة هو المستند على التكنولوجيا؛ وتشدد طريقة الإيكولوجيا الثقافية التي وضعها (Steward) على التكنولوجيا. اذ تمتلك منهجية الإيكولوجيا الثقافية الى ثلاثة جوانب هي:

١. يجب ان يكون التحليل لطرق الإنتاج في البيئة من خلال ارجاعها الى عناصرها.

٢. ان نمط السلوك البشري جزء من هذه الطرق.

٣. ان ارجاعها الى عناصرها هو لأجل فهم من ان علاقة تقنيات الإنتاج تعود الى عناصر الثقافة الأخرى (4: p322) .

ينظر (Steward) الى علاقة الانسان، الكائن الحي، للبيئة التي يعيش بها بشكل منفصل عن علاقة الثقافة الى البيئة. ويعد التكيف البيولوجي للإنسان الذي تشكل نتيجة هذه العلاقة هو جزء منفصل من البحث الإيكولوجي. ثم ان المفهومات الأساسية للأنثروبولوجيا، هي الموجهة نحو ذلك الترابط بين الثقافة والبيئة الذي يظهر بشكل أفضل عند استعمال الإجراءات الأساسية الثلاثة للإيكولوجيا الثقافية (1: p199-p200)

١. العلاقات التكنو-بيئية.

٢. استراتيجيات الاستغلال او الاستثمار (Exploitation).

٣. آثار الإجراءات التكنولوجية -الاستثمارية على جوانب أخرى من الثقافة.

تختلف الإيكولوجيا الثقافية عن الإيكولوجيا البشرية والاجتماعية في سعيها لتفسير أصل السمات الثقافية الخاصة والأنماط التي تميز المناطق المختلفة بدلاً من استخلاص مبادئ عامة تنطبق على أي حالة ثقافية-بيئية. وهي تختلف عن تصورات النسبية وتصورات التطورية المحدثة لتاريخ الثقافة في أن تدخل فيها البيئة المحلية كعامل ثقافي اضافي استناداً للافتراض الذي يشير الى أن الثقافة تأتي من الثقافة. وهكذا، يمكن معاينة الإيكولوجيا الثقافية في كل من القضية والأسلوب. تتجه القضية نحو التأكد مما إذا كانت تعديلات المجتمعات البشرية لبيئاتها تتطلب أوضاع معينة من السلوك، أو عما إذا كانت تسمح في العرض لطائفة معينة من أنماط السلوك المحتملة. كذلك مفاضلة قضية الإيكولوجيا الثقافية عن قضية الحتمية البيئية وعن النظريات ذات الصلة كالحتمية الاقتصادية ويتم الفهم عموماً الى احتواء استنتاجات كل منها في هذه المسألة ويجب أن تكون منهجية الإيكولوجيا الثقافية مؤهلة كذلك، من خلال استعمال المفهوم أو التصور التكميلي للثقافة. ووفقاً لنظره شمولية، أي ان جميع جوانب الثقافة مترابطة وظيفياً مع بعضها البعض. اذاً هدف الإيكولوجيا الثقافية هو شرح أصول الأنماط الثقافية الخاصة التي تميز المناطق الثقافية المميزة بدلاً من اشتقاق المبادئ العامة المطبقة على أي حالة ثقافية-بيئية. ويتم التركيز على دراسة التفاصيل المرتبطة بالبيئات المحلية بدلاً من التركيز على ثقافات فريدة من نوعها وتاريخها. ومع ذلك، يؤدي أسلوب (Steward) في النهاية إلى تحديد النماذج ذات الصلة للأنماط الاستغلالية والديمغرافية التي يبدو أن تشكل تنظيم القرابة الذي طالما اكد لاسيما في مسالة العصبية الابوية (p50-p49: 9).

ويمكن فك الإجراءات الأساسية الثلاثة (التي سبق ذكرها) وفقاً لتوجهات الإيكولوجيا الثقافية بالشرح الآتي (p8-p7: 6):

أولاً، يجب أن يكون هناك تحليل للترابط (العلاقة المتبادلة) بين التكنولوجيا المستغلة أو الإنتاجية والبيئة. وتشمل هذه التكنولوجيا جزءاً كبيراً مما هو في كثير من الأحيان يسمى الثقافة المادية ولكن قد لا تكون كل الميزات ذات أهمية متساوية. اذ ان

وسائل البقاء والعيش الأساسية في المجتمعات البدائية هي: الأسلحة وأدوات الصيد وصيد الأسماك؛ وحاويات لجمع وتخزين الأغذية؛ ووسائل التوصيل المستعملة في الأراضي والمياه؛ ومصادر المياه والوقود؛ وفي بعض البيئات، طرق مواجهة البرد الشديد (الملبس والسكن) أو الحرارة. ويجب النظر في المجتمعات الأكثر تقدماً إلى تقنيات الزراعة والرعي وتصنيع الأدوات الضرورية. في حين أن العوامل الأساسية في العالم الصناعي هي نظم رأس المال والائتمان، ونظم التجارة وما شابه ذلك.

وتعد الاحتياجات الخاصة المستمدة اجتماعياً كتذوق الأطعمة وطبيعة المعيشة المرفهة ووفرة الملابس، ومجموعة كبيرة ومتنوعة من المتطلبات المتزايدة الأهمية في تهيئة أو ترتيب الإنتاجية كما أنها تطور الثقافة؛ بل كانت أصلاً محتملة أكثر طالما هي نتائج التكيفات الأساسية من المسببات. وتعتمد الميزات البيئية ذات الصلة على الثقافة. وتخضع الثقافات الأكثر بساطة بشكل مباشر للبيئة مما تقدم منها. وبصفة عامة، يعد المناخ والتضاريس والتربة، والطبيعات، والمساحة البحرية والغطاء النباتي وحيوانات منطقة ما أمراً ضرورياً، ولكن قد تكون بعض الميزات أكثر أهمية من غيرها. إذ أن تباعد عيون المياه في الصحراء قد تكون حيوية للسكان الرحل عند جمع البذور أو الرعي، وستؤثر عادات الصيد على الطريقة التي يتم الصيد، وستحدد الأنواع ومواسم الأسماك إدارة عادات القبائل النهرية والساحلية.

ثانياً، يجب تحليل أنماط السلوك المتضمنة في استغلال منطقة معينة عن طريق تكنولوجيا معينة. بعض أنماط المعيشة تفرض حدود ضيقة جداً على الوضع العام لحياة الناس، في حين تسمح للآخرين بحرية التصرف. وعادة ما يتم جمع المنتجات النباتية البرية من النساء اللاتي يعملن وحدهن أو في مجموعات صغيرة. وإن اكتساب النساء شيئاً من التعاون في الواقع هو ضمن حيز المنافسة مع بعضهن البعض. لذلك يميل جامعي البذور - أو الثمار، إلى التشظي بمجموعات صغيرة إذا لم تكن الموارد وفيرة جداً. وقد يتكون الصيد، من ناحية أخرى، من أشخاص منفردين أو في مشروع جماعي، ويتم تحديد طبيعة مجتمعات الصيد بالوسائل المحددة ثقافياً

للصيد الجماعي وكذلك أنواع الصيد. وعندما يتم استعمال أساليب تعاونية أخرى كالإحاطة أو التطويق، والعشب إطلاق النار، والمزالق، يأخذ كل انسان قدر أكبر بكثير مما يمكن أن تحويه حقيبة صياد وحيد أو منفرد. وبالمثل، إذا سمحت الظروف بذلك، دفع أو حفز الصيد مجموعات من الناس الى استعمال السدود، والفخاخ، والشباك وكذلك الأفراد.

ومع ذلك، يتوقف استعمال هذه التقنيات الأكثر تعقيداً، والتي كثيراً ما توصف بالتعاونية، لا على التاريخ الثقافي والاختراع والانتشار الامر الذي يجعل الطرق متاحة ولكن على البيئة والنباتات والحيوانات. ولا يكون اصطياد الغزلان ذو فائدة بالتطويق، بينما الأفضل اصطياد الطباء والثور الامريكي في هذا السبيل. يتطلب القطع والحرق والزراعة في الغابات الاستوائية المطيرة التعاون القليل نسبيا في ذلك عدد قليل من الرجال وزوجاتهم مسح الأرض النباتية وزراعة المحاصيل. قد تكون الزراعة الجافة ذات توجه تعاوني أو لا تكون كذلك، وقد يتم ارواء الحقول وتشغيلها بسلسلة المشاريع المتزايدة من أي وقت مضى استناداً إلى حجم التشييد الجماعي لمحطات المياه. وتعتمد أنماط الاستغلال ليس فقط على العادات الموجهة نحو الإنتاج المباشر للأغذية والسلع ولكن لبناء مرافق نقل الناس إلى مصدر التزويد أو السلع إلى الناس. وكانت الزوارق عاملاً رئيسياً في السماح بنمو المستوطنات التي تتجاوز ما كان من الممكن للناس سيرا على الأقدام. من بين جميع البدو، وكان للحصان أثر ثوري تقريبا في تعزيز نمو العصب الكبيرة.

**الإجراء الثالث:** هو للتحقق من المدى الذي تؤثر به أنماط السلوك المترتبة عند استغلال البيئة على الجوانب الأخرى للثقافة. اذ بينما تقضي التكنولوجيا والبيئة على بعض الأمور المؤكدة التي يجب أن تتم بطرق ثابتة إذا كانت عاملة للكل، فان مدى أيا من هذه الأنشطة قد ارتبط وظيفيا إلى جوانب أخرى من الثقافة التي تعد القضية التجريبية البحتة. لقد أظهرت أماكن أخرى...من انه تم تحديد وجود العصب الأبوية بين بعض الشعوب التي تمارس الصيد والأسر المتشظية لهنود الشوشون الغربية

بفعاليات معيشتهم، بينما المعروف من أن هنود الكارير قد تغيروا من عصبة الصيد المركبة الى مجتمع قائم على العشائر والمكانات الموروثة دون أي تغيير في طبيعة العيش\*. ويبدو في مناطق الري للحضارات المبكرة... أن سلسلة من الصور الاجتماعية-السياسية أو عينات ثقافية كانت مشابهة لها جدا على الرغم من الاختلاف في تفاصيل خارجية كثيرة أو ميزات ثانوية لهذه الثقافات.

إذا من الممكن أن تنشأ تدابير إنتاجية تسمح بحرية حركة كبيرة في النموذج (السيسو-ثقافي sociocultural)، وقد تفسر التأثيرات التاريخية نموذج معين تم العثور عليه. القضية نفسها عند النظر الى الحضارات الصناعية الحديثة، والسؤال: إذا كان التصنيع يسمح بهذا المدى؟ فان الديمقراطية السياسية، والشيوعية، واشتراكية الدولة، وربما أشكال أخرى هي الممكنة على قدم المساواة، حيث تكون التأثيرات التاريخية قوية، كأن تنتشر أيديولوجية معينة -على سبيل المثال، وان الدعاية او نشر الاكاذيب قد تحل محل نوع واحد مع آخر، أو ما إذا كان كل نوع يمثل التكيف الذي هو محددة في المنطقة.

يتطلب الإجراء الثالث اتباع منهجاً شمولياً، لأنه إذا تم عد عوامل مثل الديموغرافيا، ونمط السكن، وبناءات القرابة، وحياسة الأراضي، واستعمال اليابسة، والخصائص الثقافية الرئيسة الأخرى هي العاملة بشكل منفصل، وان ترابطها مع بعضها البعض ومع البيئة لا يمكن ان يكون مستوعباً. اذاً يسمح استعمال اليابسة بوسائل تكنولوجية متاحة الى كثافة سكانية معينة. ويعتمد تجميع هذه الفئة من السكان جزئياً على استحداث الموارد وعلى الاجهزة التوصيلية (transportational). إن تكوين هذه الجماعات سيكون بالصيغة الوظيفية

---

\* شاع مفهوم العصبة (Band) على مستوى المدرسة الأنثروبولوجية الامريكية نتيجة تأثير المدرسة التطورية في توجهات الانثروبولوجيا الأكاديمية التي رسمت سلسلة تطورية تبدأ بالعصبة مروراً بالقبيلة فالزعامة بالدولة، اذ يرتبط مفهوم العصبة عادة مع جماعات الصيد والالتقاط الأولية (البداية) على انه التنظيم الأكثر بساطة...

لحجمها، ولطبيعة أنشطة العيش، وللعوامل التاريخية الثقافية. وستعكس على ملكية الأرض أو موارد العيش-أي الفعاليات من جهة وتشكيل الجماعة من جهة أخرى، وقد يكون للقتال صلة بمركب العوامل المذكورة فقط، وقد ينشأ في بعض الحالات، من التنافس على الموارد وله طابع وطني. وحتى عندما يكون التقاتل لأجل الألقاب الفردية أو لأغراض دينية، فإنه قد يعمل على ان تتوى (من النواة) التجمعات الاستيطانية في الطريقة التي يجب أن تكون ذات صلة بفعاليات العيش.

سابعاً:

### الوجهة المنهجية للإيكولوجيا الثقافية:

تم وصف الإيكولوجيا الثقافية كأداة منهجية للتحقق من كيفية تكيف الثقافة مع بيئتها التي تترتب عليها بعض التغييرات. بمعنى أوسع، ان قضيتها هي لتحديد ما إذا كان إدخال تعديلات مماثلة تحدث في بيئات مماثلة. لأنه قد ترتقي الثقافة في أي بيئة معينة، من خلال سلسلة متعاقبة جداً من العهود المختلفة، والثابت، انها أشارت في بعض الأحيان خارج تلك البيئة، ومن الواضح أنه ليس لها علاقة بالنموذج الثقافي. ومع ذلك، تختفي هذه الصعوبة، إذا كان مستوى التكامل الاجتماعي والثقافي الذي يمثلها في كل مدة بعين الاعتبار. ولذلك، يجب تصور النماذج الثقافية، بوصفها كوكبة لميزات اللب الذي ينشأ عن عمليات التكيف البيئي والذي يمثل مستويات مماثلة من التكامل.

بطبيعة الحال، يعمل الانتشار الثقافي بشكل دائم، ولكن نظراً لأهمية التكيفات الإيكولوجية فإنه يبدو مبالغ بدورها في تفسير الثقافة إلى حد كبير. الى المدى الذي يمكن تنظيمها في فئات من أنواع مجموعة كبيرة ومتنوعة من ثقافات العالم التي تتضح من خلال النظم المتداخلة ثقافياً للعملية الارتقائية وان كانت مسألة تجريبية بحتة. ويشير الحدس او الشعور الناشئ من الدراسات المقارنة إلى أن هناك العديد من النظم التي يمكن أن تصاغ من حيث المستويات والتكيفات المتماثلة.

## خاتمة البحث:

حاولت الإيكولوجيا الثقافية ان تتعامل مع اثنين من القضايا التي تواجه الدراسة الأنثروبولوجية للتنوع الثقافي البشري في سياق الإيكولوجيا:

١. تركة الاستعمار والنعت الرسي للأنثروبولوجيا التي قدمت فكرة أحادية التطور وعدت الثقافات البشرية تتطور من الأبسط الأكثر بدائية والوحشية إلى ثقافات أكثر تعقيداً، والحديثة، وحتى التدريجية.

٢. ان التأكيد على هذا النموذج الاقدم، وعلى مفهوم التمرکز الاثني، وتوجه الانثروبولوجيون نحو التمسك بفكرة النسبية الثقافية-يدل هذا الى ان تكون كل الثقافات مقبولة بشروطها الخاصة كمنتج فريدة من نوعها في التاريخ، والتطور، وموقعها في سياق بيئية معينة؛ يعني، انه لا أحد يستطيع أن يفهم الثقافات من حيث الحقائق العالمية.

٣. لذا اختلف (Steward) مع كل من هذين القضيتين؛ برفض الافتراضات العنصرية والاستعمارية التي تؤكد على التطور الخطي ورفض أيضا فكرة عدم وجود أنماط عالمية يمكن اكتشافها؛ وأوضح بإمكان علماء الايكولوجيا الثقافية الكشف عن النظم العالمية والأنماط عبر الثقافات من خلال رصد دقيق ومقارن.

٤. اقترح (Steward) نظرية للتطور اللا-خطي التي يتجه غرضها الأساس الى أنه يمكن للثقافات في كل مكان ان تحقق العيش عالمياً وان لم تكن بصيغة التسلسلات التي انتجها التغير. واقترح أن هذا يمكن تفسيره بسبب التنوع في أنماط التكيف الثقافي. ان الفكرة ببساطة هي أن الثقافة تتكيف مع بيئتها الطبيعية الحيوية.

كما انه يعد أول من جمع بين أربعة مناهج في دراسة التفاعل بين الثقافة والبيئة:

أ- التفسير للثقافة من حيث البيئة حيثما وجدت، بدلاً من مجرد ارتباط جغرافي بالاقتصاد، أي توجه الحتمية الجغرافية والاقتصادية.

ب- العلاقة بين الثقافة والبيئة بوصفها العملية (وليس مجرد ارتباط أو وجود علاقة) أي اتباع التوجه البيئي.

ت- النظر الى بيئة ذات نطاق ضيق، بدلاً من اقاليم بحجم منطقة الثقافة.

ث- ارتباط الإيكولوجيا والتطور الثقافي اللا-خطي.

تعامل (Steward) مع الشعوب الأصلية بدراسة مميزة للحوض العظيم عند التأكيد على الجماعات السيسيو-سياسية المحلية لحوض الهضبة عام ١٩٣٦. اذ وصف في هذا العمل البيئة العامة والسرد او ادراج الموارد المهمة، ثم ناقش كيفية استعمال تلك الموارد. ومن ثم ناقش الأنماط الاجتماعية والسياسية، وكيف أنها تتصل بالتكنولوجيا، والبيئة، وتوزيع الموارد. وكانت منهجيته رائدة على مستوى الدراسات الأنثروبولوجية. وان الحجج التي استند اليها ابتداءً:

١. قد تمتلك الثقافات في بيئات مماثلة تكيفات مماثلة.

٢. جميع التكيفات قصيرة الاجل وهي باستمرار تتكيف مع البيئات المتغيرة.

٣. يمكن ان تتبلور الثقافة القائمة من التغييرات التي تخضع لها أو ينتج منها الجديد تماما.

صاغ مصطلح الإيكولوجيا الثقافية لوصف منهجه، وكثيراً ما ينسب اليه بانه مؤسس الدراسات الإيكولوجية في الأنثروبولوجيا. وقد اقر بأن إيكولوجيا البشر تمتلك كل من الجوانب الثقافية الظاهرة والبيولوجية المحددة، مع ذلك أنها كانت متشابكة. وناقش بأن الجانب الثقافي كان مرتبطاً بالتكنولوجيا التي تحدد البشر وثقافتهم آنفاً وقائمة بذاتها عن دعم البيئة. وقد كان على صواب في الاعتراف بالفرق بين الجوانب البيولوجية والثقافية للإيكولوجيا البشرية، وكان مخطئاً لرؤية البشرات بوصفها القائمة بذاتها عن دعم البيئة.

- 1–Jerry D. Moore, Visions of Culture: An Introduction to Anthropological Theories and Theorists, Third Edition, AltaMira Press, United Kingdom,2009.
- 2–Robert A. Manners, Julian Haynes Steward: A Biographical Memoir, National Academies Press, Washington, 1996.
- 3–Hunter. D and Whitten. PH (1977) Encyclopedia of Anthropology, Harper and Row Publishers New York.
- 4–Neilson, William Allan & Thomas Knott & Paul Carhart (eds.) new international dictionary, 2<sup>nd</sup> ed., unabridged 1950, in the following link:[www.nasonline.org/publications/.../steward-julian](http://www.nasonline.org/publications/.../steward-julian).
- 5–Anderson, James N, Ecological Anthropology and Anthropological Ecology. In: Handbook of Social and Cultural Anthropology, J. J. Honigmann, ed. Chicago: Rand–McNally, 1973.
- 6– *Nora Haenn & Richard R.Wilk*, The Environment in Anthropology :A Reader in Ecology, Culture, and Sustainable Living, New York University Press, New York, 2006.
- 7– F. Berkes, C. Folke, J. Colding, Linking Social and Ecological Systems: Management Practices and Social Mechanisms for Building Resilience, Cambridge University Press, 2000.
- 8– M. Q. Sutton and E . N . Anderson, Introduction to Cultural Ecology (Second Edition) Alta Mira Press, United Kingdom, 2010.
- 9– Michael C. Gunn, Cultural ecology: A brief overview, University of Nebraska – Lincoln, Nebraska Anthropologist, 1980.